الأتقياء الأخفياء

كتبه
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة

قال رسول الله ﷺ

﴿إن الله عز وجل يحب العبد التقيّ الخفيّ﴾

[صحيح: أخرجه أحمد ومسلم]

الأتقياء الأخفياء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار طيبة الخضراء

مكة المكرمة - العزيزية - بجوار الجامعة - ت: ٥٥٨٩٠٢٧ - ٥٥٨٩٧٨٠ - فاكس: ٥٥٦٢٩٨٦

المقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومـن والـه ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ (٣) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

عن عامر بن سعد أن أباه سعداً ، كان فى غنم له ، فجاء ابنه عمر ، فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما انتهى إليه قال : يا أبت أرضيت أن تكون أعرابياً فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة ، فضرب صدر عمر وقال : اسكت ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله عـز وجل يحب العبد التقى الخفى** » (٤) .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١ » .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٧٠ ، ٧١ » .
(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم وأحمد .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان يقول إذا قعد : إنكم فى ممر الليل والنهار فى آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتى بغتة ، من زرع حيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع ، لا يُسبق بطئ بحظه ، ولا يُدرِكُ حريص ما لم يُقدر له ، فمن أعطى خيراً ، فالله أعطاه ، ومن وقى شراً ، فالله وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة .

إن **الأتقياء الأخفياء** قوم استقاموا على كتاب الله وعلى سنّة رسول الله ﷺ وكان تعاملهم مع الله فى عسرهم ويسرهم ومنشطهم ومكرههم ، ولذلك كرهوا الشهرة ، فعن حبيب بن أبى ثابت قال : خرج ابن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم : ألكم حاجة ؟ قالوا : لا ، ولكن أرادنا أن نمشى معك . قال : إرجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال : لو تعلمون ما أعلم من نفسى حثيتم على رأسى التراب .

وكان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام ، وقال : ألك حاجة ؟ فإن كان لك حاجة قضاها ، فإن عاد يمشى معه قام فقال له ألك حاجة ؟ وقال عبد الله بن المبارك : كن محباً للخمول « أى الخفاء لا الكسل » كراهية الشهرة ، ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك ،هو خروجك من الزهد لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة .

وكان فضالة بن عبيد يقول : خصال ينفعك الله بهن ، إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف فافعل ، وإن استطعت أن تسمع ولا تتكلم فافعل ، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجلَس إليك فافعل . ولما قيل للإمام أحمد : جزاك الله عن الإسلام خيراً ، قال : بل جزى الله الإسلام عنى خيراً من أنا وما أنا ؟! .

لقد كانوا يخافون العجب على أنفسهم حتى قال أبو عبيدة – رضي الله عنه – إنى امرؤ من قريش وما منكم من أحمر ولا أسود يفضلنى بتقوى إلا وددت أنى فى مسلاخه .

وقال رجل يوماً لابن عمر : يا خير الناس ، أو ابن خير الناس ، فقال : ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكنى عبد من عباد الله ، أرجو الله ، وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .

قال مطرف بن عبد الله : لأن أبيت نائماً وأصبح نائماً أحب إلىّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .

قال الذهبى : لا أفلح – والله – من زكى نفسه أو أعجبته .

لقد حرص الأتقياء الأخفياء على الإخلاص فى العمل والصدق مع الله ، حتى قال أهل المدينة : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علىّ بن الحسين رضي الله عنهما ، ولما غسلوه وجدوا آثاراً سوداً فى ظهره من حماله جُرب الدقيق ليلاً لإعطائه لفقراء أهل المدينة ، وكان عمل الربيع كله سراً ، إن كان ليجيئ الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه ، وما رئى متطوعاً فى مسجد قومه قط إلا مرة واحدة ، وكان رحمه الله يقول : كل ما لا يبتغى به وجه الله عز وجل يضمحل .

وأتقى الخلق لله هو رسول الله ﷺ ثم بقية أولى العزم من الرسل ، نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى – عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام – ثم بقية المرسلين ، ثم أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر العشرة المبشرين بالجنة ثم أصحاب بيعة الرضوان وبيعة العقبة ، وأهل بدر وأحد ثم سائر الصحابة – رضى الله عنهم أجمعين – ، وكل صحابى أفضل من كل من جاء بعده .

فعن عبد الله بن مسعود قال : أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم . قيل له : بأى شئ ؟ قال :

إنهم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة منكم» .

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ : [**خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**] (١) ، ثم سرعان ما تغير الحال وتبدل وأطلت الغربة برأسها وظهرت البدع ، وتطلع الناس إلى المال والجاه والسلطان ، وطلبوا الشهرة ، ولو على حساب دينهم ، وانبهروا بالمشاهير من الكفرة الفجرة ، وعز وجود الأتقياء الأخفياء ، وقد ورد عن الفضل بن عياض أنه قال : يا مسكين أنت مسئ وترى أنك محسن وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وتبخل وترى أنك كريم ، وأحمق وترى أنك عاقل ، أجلك قصير ، وأملك طويل . قال الذهبى أى والله صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وآكل للحرام وترى أنك متورع ، وفاسق وتعتقد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله .

لقد انخدعت الكثرة بما عليه أهل الشرق والغرب ، من بهرج وزخرف وزينة ، وشائنهم فى ذلك كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (٢) ، فتباعدوا بذلك عن معانى الكرامة الحقيقية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٣) . وصاروا راضين بالدنيا عن الآخرة مؤثرين للحطام الفانى على ما عند الله تعالى ، وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول : تفقهوا قبل أن تسودوا ، وقال سفيان : لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد ، أى لم يطلب الرياسة ، والتى قد تكون خزياً وندامة ووبالاً على صاحبها يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى حق الله فيها ، فما أحرانا اليوم، أن نعود لسيرة هؤلاء الأتقياء الأخفياء ، ونطالع أقوالهم وأفعالهم .

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى وصححه الألبانى .
(٢) سورة الروم الآية « ٧ » .
(٣) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .

فكل خير فى اتباع من سلف وكل شر فى ابتداع من خلف

لقد جربنا كل سبيل فما جنينا إلا التعاسة والشقاء والنكد ، ولم يبق إلا أن نعود لمنهج الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين ، عودة لا على سبيل التجريب ولكن على سبيل السمع والطاعة لأمر الله ، والتأدب مع شرعه سبحانه ، فما يليق بالمخلوق أن يتعدى حكمه جلا وعلا ، أو أن يضع الأهواء والأعراف ووساوس شياطين الإنس والجن فى محل الدين الذى رضيه تعالى للعالمين .

لابد من عودة مخلصة صادقة لمعالم الهدى والتقى إصلاحاً للظاهر والباطن والسر والعلانية ، لابد من العمل بطاعة الله على نور من الله راجين ثواب الله ، وترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله ، مع ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس ومحاسبة النفس على مثاقيل الذر .

لابد من تربية النفس ومجاهدتها طلباً لسعادة الدارين ، والسعى الحثيث لإقامة الدنيا على أساس من دين الله ، بحيث يشمل ذلك جميع نواحى الحياة ، فما سعدت الدنيا بمثل تقوى الله تعالى ، وأن نعلم أن ذلك لن يتم إلا بالله ، فهو سبحانه المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم إن نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفه عين ، ولا تكلنا إلى أحد من خلقك ، فإنك أكرم مسئول وأعظم مأمول ، وأنت حسبنا ونعِم الوكيل .

كتبه

سعيد عبد العظيم

الشهرة ومشتقاتها

الشهرة معناها الانتشار والظهور ، وهى ضد الاستتار والخفاء .

قال فى المصباح المنير :وشهرت الحديث شهراً وشهرة أفشيته فاشتهر . وقال فى مختار الصحاح : الشهرة وضوح الأمر ، ويقال لفلان فضيلة اشتهرها الناس ويكثر على ألسنة الناس قولهم « فلان أشهر من نار على علم » ويقولون فلان شهَّر بفلان إذا أشاع عليه قالة السوء ونسب النقائص له ، وقيل عن الشهر شهراً لاشتهاره بين الناس ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية « فالشهر ما اشتهر بين الناس وسمى به الهلال لوضوحه وشهرته . وجمعه شهور وأشهر قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ (١) وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٢) وهذه الأشهر الأربعة هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وأشهرنا أى أتى علينا شهر قال ابن السكيت: أشهرنا فى هذا المكان أقمنا فيه شهراً ، وقال ثعلب : أشهرنا دخلنا فى الشهر ، ومن شروط صحة عقد الزواج الإشهار ويقصد به الإعلان بحيث يخرج عن أن يكون نكاح سر ويكفى هذا عند مالك وأصحابه ، وقد اشترط الشافعى وأبو حنيفة شهادة الرجلين على الزواج فصاعداً وإلا فُسخ العقد ويخرج بذلك أيضاً عن حد السر ويشتهر أمر الزواج .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٩٧ » .
(٢) سورة التوبة الآية « ٣٦ » .

وفى كتاب تلبيس إبليس : أن ابن عمر رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا فإن هذا الثوب شهرة . ونقل عن بريدة أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقال حتى رأى مكانى وأتيت وعلىَّ ثوب أحمر فما علمت أنى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم منه للشهرة ، وقال سفيان الثورى كان يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيهأ أبصارهم ، والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستذل ، وقال معمر : عاتبت أيوب على طول قميصه فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره . وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك فقال رسول الله ﷺ : [**إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة**] (١) ، فما أنكر عليه ذكر التجمل بها وإنما أنكر عليه لكونها حريراً . أ . هـ .

أخرج أبو داود وابن ماجة عن ابن عمر مرفوعاً [**من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**] « وفى رواية » [**ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله** – وزاد أبو عوانه – **ثم تلهب فيه النار**] (٢) ، قال ابن رسلان : إنما كان الوعيد لأنه لبس ثوب شهرة فى الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره فيلبسه الله يوم القيامة ثوباً تشتهر به مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له ،

---

(١) **صحيح** : متفق عليه .
(٢) **صحيح** : رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألبانى .

والعقوبة من جنس العمل أ . هـ والإنسان قد يشتهر بحيث يتميز على أقرانه ويسبق أمثاله ، مما يؤدى لظهور أمره وانتشاره وهذا قد يحدث بصفة خلقية أودعها الله فيه كالقوة والطول والجمال ، أو بأمر كسبى كأساليب الغش والخداع السياسى والمعانى التى يشتهر بها الناس ، منها ما هو صالح ومنها ما هو قبيح .

السبق والمنافسة

المنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة والذى يدل على مشروعيتها قوله تعالى ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (٢) وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها ، والمنافسة قد تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة ، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة ، والمنافسة بدل الحسد ، قال الفضل بن العباس لما أراد هو والمطلب بن ربيعة أن يأتيا النبى ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة فقال لهما علىّ – رضي الله عنه – لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقال له : ما هذا منك إلا نفساة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك (٣) ، أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك ، وفى الحديث [**لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس**] (٤) ، وفى حديث أبى كبشة الأنمارى قال : [**مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لى مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً**

---

(١) سورة المطففين الآية « ٢٦ » .
(٢) سورة الحديد الآية « ٢١ » .
(٣) **صحيح** : رواه مسلم .
(٤) **صحيح** : متفق عليه .

فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء] [١] فذمه النبى ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ما له ، ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة ، وإن كانت من الفضائل كإنفاق المال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها ، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة . والحسد المشروع كما فى الحديث [**لا حسد إلا فى اثنتين**] ، يطلق عليه اسم الغبطة إذ ليس فيه تمنى زوال النعمة ولا كراهتها ويرجع إلى إرادة المساواة وللحوق به فى النعمة كمن يحب الدار الحسنة أو المرأة الجميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره . والسبق يحدث فى معنى يتعلق بالصفات أو الزمان أو المكان فقد يحدث فى علم أو سن أو مكانة أو رياضة ويقول النبى ﷺ : [**لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل**] والمراد من السَّبق فى الحديث هنا ما يوضع رهناً ويأخذه الفائز فى سباق أو رماية ، وهذا الرهن يضعه أحد المتسابقين أو تضعه الحكومة أو جمعية خيرية أو بعض الأفراد المحسنين وذلك ليخلو من كل شبهة ويتمحض للتشجيع الخالص الذى لا يراد به إلا الترغيب فى الإعداد للجهاد . وفى الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية «و يجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مغرة ، وظاهر كلام أبى العباس لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى حرمة إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة لأنه يكون سبباً للشر والفساد وما ألهى وشغل عن ما أمر الله به فهو منهى عنه ،

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به على حق شرعى فكله حرام ، وروى الإمام أحمد والبخارى ومسلم « أن عائشة رضى الله عنها وجوار كُنَّ معها يلعبن بالبنات – وهن اللعب والنبى ﷺ يراهن – فيرخص فيه للصغار مالا يرخص فيه للكبار . والصراع والسبق بالأقدام ونحوهما طاعة إذ قصد به نصر الإسلام ، وأخذ السبق عليه أخذ بالحق فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما ينتفع به فى الدين كما فى مراهنة أبى بكر – رضي الله عنه – وهو أحد الوجهين فى المذهب ، قلت وظاهر ذلك : جواز الرهان فى العلم وفاقاً للحنفية لقيام الدين بالجهاد والعلم والله أعلم (*) . أ . هـ .

(*) راجع كتاب « الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية » ، دار الإيمان .

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ (١)

قال أبو منصور البغدادى التميمى : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة ، ثم البدريون ، ثم أصحاب أُحد ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، وقال القرطبى فى تفسيره « لا خلاف أن أول السابقين من المهاجرين أبو بكر الصديق قال ابن العربى : السبق يكون بثلاثة أشياء الصفة وهو الإيمان والزمان والمكان وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قوله ﷺ فى الصحيح [**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أوتو الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد**] (٢) ، فأخبر النبى ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه لا نعترض عليه ولا نختار معه ولا نبدل بالرأى شريعته كما فعل أهل الكتاب وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ثم نقل عن ابن خويز منداد قال : « تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة فى علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك فى العطاء فى المال والرتبة فى الإكرام وفى هذه المسألة خلاف بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما واختلف العلماء فى تفضيل السابقين بالعطاء على غيرهم فروى عن أبى بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه كان لا يفضل بين الناس فى العطاء بعضهم على بعض

(١) سورة التوبة الآية « ١٠٠ » .
(٢) صحيح : متفق عليه .

بحسب السابقة وكان عمر يقول له أتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له ؟ فقال أبو بكر : إنما عملوا لله وأجرهم عليه وكان عمر يفضل فى خلافته ثم قال عند وفاته : لئن عشت إلى غد لألحق أسفل الناس بأعلاهم فمات من ليلته والخلاف إلى يومنا هذا على هذا الخلاف أ . هـ .

[لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] (١)

وهذا الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ يرد على شبهة قوية تتعلق بالأخوة الإيمانية وتحقيقها ونحتاج فى ذات الوقت إلى الجمع بينه وبين ما ذكرناه عن السبق والمنافسة ، ففى هذا الحديث يبين النبى ﷺ أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من المحامد الدينية والدنيوية ويكره ما يكره لنفسه ، قال عبد الله بن رواحه وأبو الدرداء : الإيمان كالقميص يلبسه الإنسان تارة ويخلعه تارة أخرى ، وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : [**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر**] ويأتى إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه وفيه أيضاً عن أبى بكر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : [**يا أبا ذر أراك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لاتتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**] (٢)

وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف وإنما كان يتولى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى

---

(١) **صحيح** : رواه البخارى ومسلم .
(٢) **صحيح** : رواه مسلم وغيره .

طاعته وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم ، وكان محمد ابن واسع يبيع حماراً له فقال له رجل أترضاه لى ؟ قال لو رضيته لم أبعه . وهذه إشارة منه إلى أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه وفى حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنه – عن النبى ﷺ قال : [**مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**] (١) .

« قال ابن رجب » وهذا يدل على أن المؤمن يسوءه ما يسوء أخاه المؤمن ويحزنه ما يحزنه .

وحديث أنس الذى نتلكم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد ، فإن الحسد يقتضى أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد فى خير أو يساويه فيه لأن يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم،والإيمان يقتضى خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه من شئ ، وقد مدح الله تعالى فى كتابه من لا يريد العلو فى الأرض ولا الفساد فقال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا ﴾ (٢) إلى أن قال عكرمة وغيره من المفسرين فى هذه الآية : العلو فى الأرض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذى سلطانها والفساد والعمل بالمعاصى ثم قال وقد ورد ما يدل على أنه لا يأثم من كره أن يفوقه من الناس أحد فى الجمال فخرج الإمام

---

(١) **صحيح** : خرجاه فى الصحيحين .
(٢) سورة القصص الآية « ٨٣ » .

أحمد رحمه الله والحاكم فى صحيحه من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : [أتيت النبى ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوى فأدركته وهو يقول : « يارسول الله قد قسم لى من الجمال ما ترى فما أحب أحداً من الناس فضلنى بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغى ؟ فقال : **لا ليس ذلك بالبغى ولكن البغى من بطر أو قال سفه الحق وغمط الناس**] [١] ، قال : « ومن هنا قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل ما جاء به وإن كان صغيراً فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبى قبول الحق تعاظماً عليه فهو متكبر وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص » .

قال بعض الصالحين من السلف : أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصى الله مقتوا أعمالهم ، وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم وأشفقوا على أبدانهم من النار ، وأما قوله عز وجل ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [٢] فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمنى الرجل نفس ما أعطى أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه وفسر بتمنى ما هو ممتنع شرعاً أو قدراً كتمنى النساء أن يكن رجالاً أو يكون لهن مثل للرجال من الفضائل الدينية كالجهاد ، والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل إن الآية تشمل ذلك كله ، ومع هذا كله فينبغى للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية ، ولهذا أمر أن ينظر فى الدين

---

(١) **صحيح** : رواه أحمد وأصله عند مسلم .
(٢) سورة النساء الآية « ٣٢ » .

إلى من هو فوقه وأن ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ [١] ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه ويحثهم على ذلك وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان أ . هـ .

(١) سورة المطففين الآية (٢٦) .